مصداقية الترجمة بين الأنا والآخر

Translation's Credibility between the Ego and the Other

د: بن عزوز حليمة
جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

ملخص:

إنّ الوقوف أمام ما تتعذر ترجمته ليس مجرد مواجهة لصعوبات لغوية قد تشمل ضعف المترجم وعدم تمكنه من الترجمة، فليس المترجم هو من يقف عاجزا وإنما هي اللغة ذاتها من تقف عاجزة أمام الأخرى بل وإنها الثقافة ذاتها التي تقف عاجزة أمام الأخرى وعلى هذا النحو، فليس الأمر عجزا وإنما هو إدراك لـ:"آخرية" الآخر. سيعرض هذا المقال أهم أنماط ومستويات الترجمة تماشيا مع معايير الترجمة الجيدة موازاة مع خطوات لابدّ للمترجم أن يحذو حذوها.

Abstract:

Standing towards what translation is unable to cover is not just facing such linguistic difficulties which may include the disability of the translator to engage with; it's not the translator who stands unable but it is the language itself which stands unable besides the other, it's the culture itself which stands unable besides the other. In this sense, the matter is not a disability but rather a consciousness of the other.

This article will show the most important types as well as levels of translation according to the best translation's standards in parallel with such steps the translator respectively ought to follow.

تمهيد:

إنّ الترجمة هي ما يفتح الثقافة أو بالأحرى ما يفتح النصوص على الخارج وما ينقلها وما يحولها وبفضل هذا التحويل فإن كثيرا من المؤلفات تكتسب أهمية يعجب لها الأدب وتقهر الترجمة كل الصعوبات وتمحو كل المسافات وتلغي جميع الاختلافات[1] ذلك أن تعترف بالآخر كآخر فلا ينبغي أن نخوض في عراك مباشر مع اللغة الأجنبية، بل ينبغي أن نتوصل إلى ما يقبل فيها الترجمة إذ في هذا تكمن قيمة كل لغة ويتجلى طابعها الخاص، حينما نتوصل إلى ما تتعذر ترجمته آنئذ وآنئذ فحسب يدرك وعينا بالأمة الأجنبية واللغة الأجنبية

ومعنى هذا أن الوقوف أمام ما تتعذر ترجمته ليس مجرد مواجهة لصعوبات لغوية قد تشمل ضعف المترجم وعدم تمكنه فليس المترجم هو من يقف عاجزا وإنما هي اللغة ذاتها من تقف عاجزة أمام الأخرى بل وإنها الثقافة ذاتها التي تقف عاجزة أمام الآخر وعلى هذا النحو، فليس الأمر عجزا وإنما هو إدراك لـ:"آخرية" الآخر ومعنى ذلك التقريب ما بين اللغات الذي تتوخاه الترجمة وليست الترجمة خلقا للقرابة فحسب وإنما هي أيضا تكريس للغرابة، إنها ليست وصلا فحسب وإنما هي انفصال وابتعاد، إنها تقريب الذات من الآخر ولكنها أيضا فصل بينهما، فالمسافة بين الذات والآخر لا يمكن أن تلغى نهائيا إذ أنها لو ألغيت لما ظلّ هناك لا أنا ولا آخر.

تؤدي الترجمة إلى رؤية التفاعل بين الثقافات والانتقال بين اللغات كما أنها تؤدي إلى انفتاح ثقافة على أخرى وذلك بأن تقترب منها وتتواصل معها ويكون هذا الاتصال انفصالا وبذلك لن ترمي الترجمة إلى أن تهضم لغتنا وثقافتنا النصوص الأجنبية وتبتلعها وتعربها بل إنها تهدف أيضا وربما أساسا إلى أن تمكّن ثقافتنا من أن تمتحن ذاتها على ضوء الآخر فيمكنها أن تعترب وتتفرنس وتتجلنز وتتألمن[2]...وبهذا تصبح الترجمة أداة لتمكين الثقافة من أن تمتحن ذاتها على ضوء الآخر ووسيلة لتعريض الذات لمحنة وامتحان تتلقى فيه دفعا عنيفا مما هو أجنبي، هذا الدفع هو الذي يجعل الذات تشعر بالغربة لا أمام الآخر بل أمام ذاتها وبهذا تغدو الترجمة انفصالا للثقافة عن نفسها وللغة عن ذاتها وللأنا عن نفسه وبهذا وحده تصبح الترجمة مولدة للهوية مغذية للثقافة وبه تغدو أداة انفصال وتحديث.

لمحة تاريخية عن الترجمة:

قد تكون أولى الإشارات التي تدل على تواجد الترجمة هي الرسائل التي أرسلها أمراء الشام إلى أخناتون يطلبون فيها المال أو المعونة وتتوالى الإشارات بعد ذلك في المعاهدة التي عقدت بين رمسيس الثاني "فرعون مص" وملك الحيثيين حيث كان بيد كل ملك منهم صورة للمعاهدة بلغته ويعتبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو المعرّب الأول حيث أمر بتعريب الدواوين نقلا عن الفرس فأسس ديوان الجند لتسجيل أسماء الجنود ورواتبهم وديوان الرسائل أو البريد وفي التاريخ، نلمح وجود فترتين تاريخيتين مهمتين – حقبة تم فيها الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وحقبة تمت فيها الترجمة العكسية من العربية إلى اللغات الأجنبية.

وعندما هدأت فورة الفتوحات الاسلامية العربية وبدأ العرب يستكملون تأسيس حضارتهم وكان لابدّ لهم منا الأخذ عن التراث الإنساني للأمم التي احتكوا بها مثل الفرس والرومان واليونان والهنود. وكان ما ترجموه هو التراث العلمي فنقلوا إلى العربية علوم اليونان مثل كتب اقليدس وبطليموس في الهندسة والفلك وكتب أبقراط في الطب وكتب أرسطو وأفلاطون في الفلسفة وعن الهنود نقلوا كتب أدرشاناف في السموم وعن الرومان نقلوا كتب جالينوس في الطب[3]

وكانت ذروة الترجمة في عصر الخليفة المأمون ابن هارون الرشيد الذي أنشأ بيت الحكمة وجمع فيها كلّ ما أمكن الحصول عليه من كتب اليونان والسريان والهنود والفرس والرومان وكان نجم الترجمة في هذه الفترة هو "حنين بن اسحاق والذي كان يتقاضى وزن ما يترجمه ذهبا وفي

القرن السابع للهجرة والثالث عشر للميلاد ونتيجة لاحتكاك الفرنجة بالعرب أثناء الحروب الصليبية في المشرق العربي وكذلك في الأندلس وصقلية، بدأت الترجمة العكسية من العربية إلى اللاتينية واللغات القومية الأوروبية فترجمت مؤلفات ابن سينا وابن النفيس والزهراوي وابن البيطار وابن الهيثم وابن رشد وغيرهم لتبدأ النهضة العلمية في الغرب ويؤكد روجر بيكون وفرانسيس بيكون وكلود برنار مبادئ العلوم المبنية على الترجمة الدقيقة التي كان للعرب فضل ابتكارها[4]

مفهوم الترجمة:

الترجمة كتابة في اللغة المترجم إليها لنقل المعنى وفقا للغرض المتوخى منها ممثلة بذلك عملية الانتقال من لغة إلى أخرى فيما بين ثقافتين لتبين مراد المترجم عنه للمترجم له الذي لا يفهم اللغة المترجم منها وكما أن نقل الأفكار بالكتابة لا يستقيم إلا بتمحيصها وإعادة النظر فيها، فإن الترجمة نقل للأفكار من لغة إلى لغة أخرى لا تكتمل إلا بمراجعة المترجم لما ترجمه علما أن المراجعة قد تكون ذهنية وسريعة رهنا بخبرته ومدى تمكنه وملكته ودربته وهمته ووقته وإن ثمة علاقة حميمية بين الكتابة والترجمة ذلك أن الكتابة مسكونة بالترجمة وهذه الأخيرة نزاعة لأن تصبح كتابة[5]كما أن كل قراءة ترجمة وهناك ترجمة أصلية أي "ترجمة ممّا قبل الترجمة تتيح الكتابة وتسمى هذه التبادلات والتحويلات والتناسخات التي تحيل بادىء ذي بدء نصا إلى ترجماته الفعلية أو الممكنة وتشذ بعضها إلى بعض.

ومتى فهم المترجم النص الأصلي فإنه يحقق في داخله "ترجمة صامتة" تكون الخطوة الأولى في الترجمة وبعد تبلور تلك الترجمة الصامتة تبدأ مرحلة الكتابة لذا، فإن المترجم الغير كاتب لا حظّ له في الترجمة وإن كانت المراجعة أساسا كتابة في الترجمة ويلخص البستاني[6] ثلاثة اتجاهات في منظور الترجمة التقليدية التي سادت في أيامه أولها تحريف وتسرع أولى به أن يسمى "تضمينا" او "اختصارا" أو "معارضة" والثاني "انتحال وسرقة ودجل" إذ يعرض الكتاب على الناس على أنه من قريحته وثالثهما وهو المعول عليه يهدف إلى حصول الفائدة فيها من الوجه المطلوب وهو نقل المعاني ورسمها رسما صحيحا[7] ينطبق على لغة النقل، فإذا قرأ فيها المطالع كتابا معربا فإنما هو يقرأه عربيا ولا يقرأه أعجميا فالترجمة تعني بذلك نقل الأفكار والأقوال من لغة إلى أخرى مع الحفاظ على روح النص المنقول ولهذا السبب، فإنه إذا كانت الكلمات هي التي تشكل اللبنات الأساسية التي يتكون منها البناء اللغوي فإن القواعد اللغوية هي القوالب التي تصاغ فيها الأفكار والجمل وروح المترجم وأسلوبه في التعبير ومواهبه الكامنة فيه وخلفيته الثقافية هي التي تميز الترجمات المختلفة لنفس النص.

ولهذا، يمكن القول "إذا كانت الإجادة اللغوية تعتبر من الأساسيات الضرورية اللازمة للمرء حتى يقدم على ترجمة تعبير أو ترجمة جملة أو فقرة أو نص ما، فإنّ الموهبة والثقافة والاطلاع ونوعية التعليم الذي حصل عليه المترجم وتعمل على نضوجه وبلورة شخصيته كمبتكر ومبدع ومكتشف لديه القدرة على كشف دور وكنوز اللغة المنقول منها ووضعها في أماكنها السليمة في اللغة المنقول إليها[8] وتحدث ابن خلدون عن الترجمة معرفا إياها قائلا:

"ثم إن الملّة الاسلامية لما اتسع ملكها واندرجت الأمم في طيها ودرست علوم الأولين بنبوّتها وكتابها وكانت أمية النزعة والشعار فأحذ الملك والعزة وسخرية الأمم لهم بالحضارة والتهذيب وصّروا علومهم الشرعية صناعة بعد أن كانت نقلا فحدثت فيهم الملكات وكثرت الدواوين والتآليف وتشوفوا إلى علوم الأمم فنقلوها بالترجمة إلى علومهم[9] وأفرغوها في قالب أنظارهم وجرّدوها من تلك اللغات الأعجمية إلى لسانهم و أربوا فيها على مداركهم ...وأصبحت العلوم كلها بلغة العرب ودواوينها مسطرة بخطهم واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن لدرسوها وذهاب العناية بها"[10]

الترجمة علم أم فن:

لقد جرى العرف في استعمال لفظ "مترجم" على الذي يقوم بنقل نص مكتوب بلغة نص مكتوب بلغة أخرى أما الترجمان، فتطلق عادة على الترجمة الشفوية[11]

وفي التمييز بين الترجمة كعلم أو فن، يمكننا القول أنّ العلم يعتمد على الحقائق التي يمكن قياسها بطريقة أو بأخرى والتجارب العلمية أو العمليات الرياضية إذا أجراها أشخاص مختلفون فسيصلون حتما إلى نفس النتيجة أما في الترجمة، إذا ترجم قطعة ما عدد من الناس فسوف نجد اختلافا عظيما بين ترجماتهم وبالتالي ليس هناك ترجمة واحدة صحيحة والباقي خطأ ولكن هناك ترجمات جيدة وترجمات متوسطة وترجمات ضعيفة فليست الترجمة فنا خالصا لأنّ الفنان الخالص ليس له سلطان سوى ما يمليه عليه خياله و ابداعه أمّا المترجم فهو ملزم بالنص الذي أبدعه المؤلف وكل ما يستطيع عمله هو أن يجلو ما خفي ويوضح ما غمض وينتقي لفظا أو آخر بحيث ينقل القارئ فكر وروح وأسلوب الكاتب بأمانة وسلاسة فالترجمة ليست علما أكيدا وليست فنا خالصا بل هي فن تطبيقي أي حرفة تحتاج إلى الكثير من الممارسة والصبر[12]

ومن الخطوات التي يجب اتباعها عند الترجمة، نذكر:

- يجب على المترجم قراءة النص المراد ترجمته بإمعان مرة أو مرتين على الأقل حتى يتضح المعنى بشكل تام لأنه ليس بوسع المرىء أن يترجم بشكل مفهوم نصا ما لم يفهمه ويستوعبه.
- إذا اعترضت المترجم بعض الكلمات أو العبارات التي يصعب عليه فهم معناها فلا يتردد في الرجوع إلى القواميس العامة أو المتخصصة وإذا لم يسعفه قاموس ما في إيجاد بغيته فعليه بالالتجاء لغيرها لأنّ القواميس درجات وتخصصات، فبعضها يضم عددا من المفردات التي قد تصلح فقط لمستوى طالب الثانوي وبعضها الآخر يصلح للطالب الجامعي بصفة عامة في حين أنّ فئة ثالثة تصلح للمتخصيص في فرع بعينه من فروع اللغة.
- يبدأ المترجم بعد ذلك في محاولة ترجمة كلّ جملة ترجمة صحيحة وسليمة على حدة.
- ايجاد أدوات الربط بين الجمل حتى لا يكون النص مفككا وغير متصل.

- إعادة قراءة النص بأكمله بغرض مراجعة الاخطاء النحوية والتأكد من أنّ المعنى الذي أراد الكاتب قد أمكن نقله نصا وروحا.
- البعد تماما عن عملية الحذف أو الاختصار أو التلخيص أو اللف والدوران حول النص عندما يصعب فهمه وترجمته لأن هذا الأمر يعتبر تشويها وتحريفا فالترجمة ليست تلخيصا أو اختصارا أو لفّا أو دورانا حول المعنى[13] ومن المعاني الأصلية ما ضاعت وراء ما يسمى بالتخمين فالترجمة "إبداع" وليست "ابتداع" والترجمة أمانة في عنق المترجم وإذا عجز عن حملها فعليه أن يتخلى عنها.
- الحذر في اختيار معاني الكلمات والعبارات والتعبيرات اللغوية والتأكد من أنها مناسبة للنص وإذا اضطر المترجم تحت إلحاح الضرورة القصوى إلى التخمين فعليه أن يدقق في اختياره وأن يكون تخمينه في نطاق ممكن بحيث لا يزيد عن الكلمات التي يخمنها في الفقرة عن كلمة أو كلمتين على الأكثر لأنه كلما زاد التخمين كلما زاد احتمال وقوع المترجم في الخطأ[14] وكلّما حمّلنا المؤلف الأصلي معاني لا تمتّ بصلة لأفكاره كلمّا حمّلناه مسؤوليات هو ليس مسؤولا عنها.
- قد يخلط المترجم بين الأمانة في الترجمة وبين الحرفية في الترجمة ونود أن ينقل لنا النص روحا ومعنى وصدقا وتعبيرا أي أن يكون النص المترجم المعادل الموضوعي للنص الأصلي، بمعنى أن النص يجب أن ينسجم مع روح الكاتب قلبا وقالبا وأن يراعي المعنى الذي يقصده الكاتب والذي يكمن وراء كل كلمة وعبارة مع التقديم أو التأخير بالشكل الذي يخدم المعنى والصورة البلاغية من جناس وطباق ومقابلة وتشبيه واستعارة في حين أن الترجمة الحرفية تعمل فقط على نقل النص حرفيا بمعنى الالتزام بالنص المنقول منه من ناحية معاني المفردات والتراكيب اللغوية متجاهلا تباين الأساليب اللغوية المختلفة من لغة إلى لغة أخرى وفي هذه الحالات تكون الترجمة ركيكة لغويا ولا تنقل بصدق النص المترجم من حيث الصياغة والمضمون[15]

ولا بدّ من مراعاة شروط أساسية في المترجم قد نقف عليها وقفة دقيقة:

- قاعدة عريضة من مفردات اللغات التي يترجم منها وإليها.
- إلمام كامل بالمصطلحات والتعبيرات التي تتميز بها كلّ لغة من اللغات.
- دراسة متعمقة للقواعد والنحو والبلاغة والبيان بحيث يستطيع فهم ما يهدف إليه الكاتب الذي ينقل عنه ثم يقوم بصياغة ما يترجمه بصورة بلاغية معادلة تقريبا في المعنى والمضمون لما قصده الكاتب حيث يمكن أن يقال عنها بأنها المعادل الموضوعي للنص المترجم.
- خلفية واسعة في العلوم التي يقوم بترجمة نصوصها مثل الأدب أو التاريخ أو الجغرافيا أو

الكيمياء أو الأحياء أو الطب أو الهندسة أو غيرها بحيث لا يخلط بين معاني الألفاظ التي ترد في النص الذي يقوم بترجمته لأنّ الكلمات الإنجليزية على سبيل المثال تختلف معانيها واستخداماتها بحسب العلم الذي ترد فيه مثلا كلمة cellوالتي تعني كاسم الخلية في علم الأحياء والطب قد تعني بطارية في مجال آخر (الكيمياء): وعاء لتوليد الكهرباء بالتفاعل الكيميائي[16]

- إجادة خاصة لفروع العلوم المختلفة التي يقوم بالنقل منها وإليها مع الإلمام بمصطلحاتها والقدر الأعظم من مفرداتها.
- الأمانة في نقل الأفكار الواردة في النص الأصلي ونقلها بلغة واضحة وسلسة ومفهومة إلى اللغة المترجم إليها[17]
- محاولة بناء الفكرة في أسلوب مشابه إلى حدّ كبير للأسلوب الذي كتب فيه النص الأصلي.[18]
- إظهار القطعة المترجمة (الترجمة الهدف) بنفس روح القطعة الأصلية (الترجمة المصدر) وكأنّ المترجم يعيش ويتفاعل مع النص المترجم منه أثناء عملية الترجمة.

ولكلّ فنان أدواته التي يستخدمها في فنه، فللموسيقي آلاته وللرسام فرشاته وألوانه وألواحه والمصور الفوتوغرافي له كاميراته وعدساته وأفلامه[19] للمترجم أيضا أدواته من معاجم وقواميس أحادية اللغة وثنائية اللغة وقواميس عامة ومتخصصة ومعاجم متخصصة وكتب وموسوعات متخصصة في قواعد اللغة التي تحكمها ...

أنماط ومستويات الترجمة:

1 | الترجمة الحرفية: وهي ترجمة تقوم بترجمة النص كلمة بكلمة بنفس تركيب الجملة الأصلية وبدون التفات إلى اصطلاحات اللغة المنقول منها ممّا يؤدي إلى نص مترجم ركيك الأسلوب وغامض ومشوش وهذا النمط من الترجمة نجده في ترجمات المبتدئين كمرحلة وسيط لتراجم المحترفين[20]

فمثلا عند ترجمة القصيدة التالية لوليام شكسبير:

Take,o take those lips away,
That so sweetly were
forswarm
And these eyes,the
break of day
Lights that so mislead
the morn

خذ وخذ هذه الشفاه بعيدا
التي بحلاوتها دفئت
وتلك العيون انكسار نهار
الأضواء التي تضلّ الصباح

2 | الترجمة بتصرف:

وهي ترجمة حرفية للجملة كاملة بحيث ينقل المترجم للقارئ المعنى الذي يقصده الكاتب مع مراعاة تركيب اللغة المنقول إليها من حيث التقديم والتأخير وترجمة الاصطلاحات والتعابير الاصطلاحية إلى ما يمكن أن

يناظرها في اللغة العربية واختيار ألفاظه يراعي الإيحاءات الهامشية أو ظلال المعنى التي يقصدها الكاتب.

4 | الترجمة الابداعية أو الترجمة الحرة:

وهنا يأخذ التصرف مداه وفيها يلتزم المترجم بموضوع النص المترجم وأفكاره الرئيسية وفيما عدا ذلك يتصرف بطريقة حرة في أسلوب الكتابة وفي المصطلحات المستخدمة

وفي الصور الجمالية بل قد يضيف أو يحذف بعض التفاصيل غير الأساسية ويكون هذا في ترجمة الشعر[21]

5 | الترجمة الشارحة أو التفسيرية:

حيث يضيف المترجم بعض الألفاظ أو العبارات التي يشرح فيها غوامض النص الأصلي وقد تكون بعض المصطلحات غامضة وغير مألوفة أو معروفة[22] ممّا يستدعينا إلى الوقوف أمام الترجمات للألفاظ والمصطلحات الإسلامية ففي ترجمتها نلاحظ أنّها مدعومة بشروح ويوضع الشرح عادة بين قوسين مثال ذلك:[23]

المسجد الحرام Kaaba is the holy mosque in Makkah where(…)

المسجد الجامع The mosque where Friday prayer is condacted

6 | الترجمة التلخيصية:

يعطي المترجم فكرة عامة مختصرة على الموضوع الذي يترجمه كخطوة لاختيار النص الجدير بالترجمة الكاملة الأمينة.

الأقلمة:

وفيها تحويل النص الأدبي إلى بيئة مصرية أو سعودية أو لبنانية[24]

التعريب:

وهو غير تعريب الألفاظ والمصطلحات فهو تعريب يجري على مستوى النص الأدبي لتحويل شخصياته وبيئته ومواقفه إلى شخصيات وبيئات ومواقف عربية مع الاحتفاظ بالخط الدراسي وعقدة وموضوع العمل الأدبي ومثال ذلك تعريب مسرحيات البخيل ومريض بالوهم لموليير على المسارح العربية باللغة العربية الفصحى أو تعريب قصة الكونت دي مونت كريستو أو تعريب مأساة هاملت لشكسبير...[25]

الاقتباس:

وفيه يتم استعارة العقدة الرئيسية للعمل الأدبي مع إبداع مواقف فرعية جديدة.

معايير الترجمة الجيدة:

لقد أوصى علماء كثيرون بمجموعة من العوامل التي يجب مراعاتها في الترجمة الناجحة ومن أمثلة هؤلاء:

العالم الفرنسي دوليه Dolletوالذي يرى أنه لا نتاج لترجمة مكافئة إذ ينبغي على المترجم أن يتحاشى الترجمة الحرفية كلمة بكلمة لأنّ هذا النوع من الترجمة يفضي إلى التباس المحتوى الأصلي ويفسد جماله، كما يرى تايلر أنّ الترجمة البارعة هي التي يكون أسلوبها وطريقة عرضها موازيين لأسلوب وطريقة عرض الأصل ويرى شومان أنّ الترجمة خطيئة لكنها خطيئة لا مناص منها أمّا فيليمور فيرى أنّ الترجمة غذاء تنمو به اللغة وتكبر أمّا غاية ما يصل إليه المترجم هو أن يحدث في عقول قرائه نفس الأثر الذي أحدثه النص الأصلي في عقول القراء للنص

باللغة الأصلية أو أن يقترب المترجم من ذلك الأمر ما استطاع إليه سبيلا.

وفيما يخص أهمية الترجمة المتكافئة، يرى بيتس أنه ما من شيء ينتقل من مكانه من غير الترجمة ...فما من تغير فكري أو تحول تقني انتشر إلاّ بفضل الترجمة ومع ذلك فليست كلّ التراجم يحق لها أن تكتسب هذا القدر من الأهمية وبصدد الإتقان، يقول إدوارد أننا بحاجة إلى الوصول إلى أصدق إحساس ممكن بالنص الأصلي [26] ويدعمه نوكس بقوله أنّ الترجمة يجب أن تكون على نفس القدر من الإثارة والامتاع الذين يحدثهما النص الأصلي ومن هذا المنطلق، يبدو أنّ إدوارد ونوكس متفقان على أنّ الترجمة المتكافئة هي معيار براعة الترجمة[27]

كما يرى فوستر أنّ الترجمة البارعة هي فقط التي تفي في اللغة الجديدة بذات الغرض الذي تؤديه اللغة الأصلية ويعتقد نابوكوف أنّ الترجمة البارعة أو الأصلية هي الترجمة الحرفية لكنّ الترجمة الحرفية بالنسبة لنيدا ليست جيدة لأنه يرى أنّ هذا النمط من التراجم عامة ما يفضي إلى ترجمة ملتبسة في دلالاتها وما هو مقصود منها وحول مدى صواب الترجمة، يقول نيدا: "لا ينبغي أن تتحدد صحة الترجمة على أساس مدى مضاهاة الكلمة بالكلمة بل على أساس المدى الذي وصلت إليه الترجمة في توصيل المقومات الدلالية للنص بدقة ولعلّ هذا أمر ضروري إن أريد للرسالة الناتجة في اللغة المنقول إليها أن تمثل أقرب مكافئ طبيعي لنص اللغة المصدر".

ويشير بيرتن قائلا "ثم نوع من الترجمة اسمه الترجمة الحرفية لكنها ليست بترجمة بل أكذوبة وغش وتحريف ولا يمكن حسابها في عداد الترجمة الجيدة لكننا مضطرون الآن للاعتماد بشكل رئيس على الترجمة حتى إن ظهرت لنا في ثوب حرفي [28]وبهذا الصدد يوضح نيومارك أنّ الترجمة الحرفية هي الخطوة الأولى في عمليات الترجمة وعلى المترجم البارع ألاّ يتجنب الترجمة الحرفية اللهم إلاّ أن يكون النص الناتج ملتبسا أو سيء الصياغة أما المترجم السيء فهو الذي يبذل قصارى جهده ليتجنب الترجمة الحرفية فالأصل في ذلك هو البدء بالترجمة الحرفية فإن أفضت إلى المعنى المطلوب والبيان اللائق فنعم ماهي وإلاّ فعلى المترجم أن يتحاشاها ليبلغ ذلك المراد من طريق أخرى"

وتتمثل الهفوة الأساسية التي يقع فيها الكثير ممن يقومون بترجمة الأدب في فشلهم في أن يكونوا طبيعيين في التعبير فهم في الواقع يجعلون القارىء[29] يعلم علم اليقين أنّ عملهم ما هو إلاّ ترجمته إذ يذهب الجزء الأعظم من مجهودهم في البحث عن عبارات مرادفة ناسين أو متناسين أنّ قراءهم ربما لا يستخدمون أصلا هذه الكلمات في لغاتهم ولذلك يرى جود سبيد أنّ أفضل التراجم ليست تلك التي تبقى نصب عين القارئ وإلى الأبد حقيقة أنّ هذا العمل ما هو إلا ترجمة وليس تأليفا أصليا وإنما هي تلك الترجمة التي تجعل القارئ ينسى مطلقا أنها ترجمة وتجعله يشعر أنه ينعم النظر في ذهن الكاتب القديم مثلما ينعم النظر في ذهن الكاتب المعاصر ...الترجمة الجيدة إذا هي تلك الترجمة التي تتسم بسرعة البداهة والمهارة مع البساطة وبتوصيل أدقّ المعاني والضلال الموجودة في النص الأصلي قدر الإمكان[30]

نظرة العرب إلى الترجمة:

لم يفرغ العرب القدامى والمعربون القدماء على كثرة ما نقلوا إلى العربية للتنظير في مضمار الترجمة بل إنهم انصرفوا للعمل فيها ولمع بعضهم في مزاولتها والمعروف أنّ أول عربي سطع نجمه في مقتضيات الترجمة هو "الجاحظ" وإن لم يكن مترجما فقد رآها من منظار القارئ الذي يهمه أن تكون النصوص بائنة المعنى محكمة المبنى لذا جعل عماد الترجمة البيان والمعرفة وإن ما أنتجه المترجمون أو بالأحرى القيمون على الترجمة كان عبارة عن معاجم مزدوجة اللغة أو كتب في النحو المقارن مثلما فعل حنين بن إسحاق فيما يخص العربية واليونانية وبذلك انصب الاهتمام على الترجمة المصطلحية والتقابل النحوي كمشاكل اصطدم بها المترجمون لغورهم حسب ما وصل إلينا من مخطوطات وعلى أساس كلام الجاحظ عن الترجمة الذي جمع وأوجز حددت طريقتان في الترجمة تكرر ذكرهما كثيرا إحداهما حرفية والثانية متصرفة على أساس الجملة ثم إنهم سكتوا كلية عن هذا الكلام المباح طيلة عصور الانحطاط وجاء عصر النهضة فتحركت في الهمم ابتداء من أواسط القرن [19] إذ أسست مدرسة الألسن في مصر في عهد محمد علي وأنشأت مدرسة الترجمة في طنجة بالمغرب لتخريج المهندسين التي أشرف على نشاطها علماء من الخارج وبالنسبة للعصر الحديث فقد صدر حتى الآن في العربية في غضون القرن [20] ولا سيما في النصف الثاني منه حوالي 240 كتابا عن الترجمة بعضها مترجم عن الإنجليزية أساسا وعن الفرنسية والروسية وبعض آخر مؤلف أو عبارة عن أطروحات منشورة او غير منشورة[31]

واستمرت مشكلة نقل المفهوم المصطلحي واختلف في أي السبيلين أقوم وأصلح الترجمة أي النسج على المنوال العربي أم التعريب أي إضفاء الشكل العربي على المصطلح الأعجمي واحتدم النقاش منذ عام 1908 وتشعبت المذاهب في ذلك ولو أنّ كفة الترجمة مالت ومنذئذ ظهرت جملة من الآراء معظمها في مقدمات الكتب المترجمة ولم تحد عن الثنائية المعهودة إذ دعا فريق إلى الترجمة الحرفية ونادى فريق آخر بترجمة المضمون أي التصرف وكان من الذين نشطوا في عملية الترجمة(يعقوب صروف1852-1927)الذي صنّف المعاني حسب الحقيقة والمجاز وكان من أنصار التصرف المقيد أي بدقة وسعى ما وسعه الجهد إلى ترجمة المفردات المستجدة لكنه لم يتورّع عن التعريب لإغناء العربية وزيادة رصيدها لأنّ اللغة جسم حي نام وقد قصد بتلك العلوم بالدرجة الأولى ولم يفته ما يكابده المترجم من عناء في تنازع الترجمة والتأليف والإنشاد والتحرر إذ يقول "ليست الترجمة بالأمر الهين بل هي صعبة وأصعب من التأليف لأنّ المؤلف طليق بين معانيه والمترجم أسير معاني غيره مقيد بها مضطر إلى إيرادها كما هي وعلى علاّتها إذا لزم الأمانة كما هو الواجب وإلاّ فليس مترجما بل هو مصنف"[32]

وقد تصدى للترجمة الأدبية كثير من الأدباء منهم "محمد عوض ابراهيم وعلي أدهم وأحمد زكي ونجيب الحداد وحافظ ابراهيم ومصطفى لطفي المنفلوطي ومحمد بدران وابراهيم المازني وعبد الرحمن شكري لكنهم لزموا الصمت جزئيا أو كليا ولم ينبؤوا عن نهجهم ولم يبينوا مذهبهم على عكس ما فعله خليل مطران

(1871-1949) وأحمد حسن الزيات 1885-1968 أما الزيات الذي ترجم للامارتين ودي موبامان وألفونس دودي، فقد شرح في مقدمته لرواية "ضوء القمر" الطريقة التي اتبعها والتي كانت توفيقا بين الطريقتين اللتين ذكرهما الصفدي والعاملي استنادا إلى آراء الجاحظ أي التصرف والحرفية ولقد تنبه إلى أنّ الأوائل ركزوا على ترجمة العلوم والفلسفة ولم يترجموا الآداب فيما عدا ابن المقفع ونفر قليل ثم يقول "أنا أنقل النص الأجنبي إلى العربية نقلا حرفيا على حسب نظمه في لغته ثم أعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل فأقدم أو أأخر دون أن أنقص أو أزيد ثم أعود ثالثة فأفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم والمجاز المطابق والنسق المنتظم وأنا على يقين بأنّ المؤلف لو كتب قصة أو قصيدة باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة لأنّ المؤلف ينقل مباشرة من ذات نفسه إلى ذات قلمه أمّا المترجم فإنّه ينقل من لغة تخالف لغته كلّ الاختلاف في تأليف الجملة ونظم الأسلوب وتصوير الطبيعة والبيئة"[33]

أمّا عبد الوهاب عزام، فإنّه ترجم عن التركية والفارسية والأزدية ونظرا إلى احتوائها على مفردات مقيسة على العربية فقد طرحت عليه إشكالية الاشتراك اللفظي ولزوم تخير المفردة الدقيقة الملائمة وقد ذكر بأنّ خير طريقة في الترجمة أن يقدّر المترجم أنّ المعاني التي يعالجها قد ألهمته هو ثم ينظر إلى طريقة التعبير التي اتّخذها المترجم له وطبيعة التعبير في اللغة التي يترجم إليها فيتخذ الصورة التي اختارها المؤلف في حين أنّ السواد الأعظم من فطاحلة المترجمين في عصر النهضة اتفقوا على أن تجرى الترجمة على الأسلوب العربي الأصيل مع التقديم والتأخير والتجاوز عن الأصل بالبتر والحذف أو شيء من الزيادة[34]

هوامش الدراسة:

1- عبد السلام بن عبد العالي: في الترجمة-دار توبقال للنشر- ط1-الدار البيضاء-المغرب-2006، ص:97

2- المرجع نفسه، ص:98

3- علي قاسم الحاج أحمد: أصول الترجمة-دار الإعصار للنشر والتوزيع-ط1-عمان-الأردن-1432هـ،2011م، ص:11

4- المرجع السابق، ص:12

5- محمد الديداوي: مفاهيم الترجمة، المنظور التعريبي لنقل المعرفة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب،2007، ص:62

6- المرجع السابق، ص:62

7- المرجع السابق، ص:63

8- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، الترجمة المبادئ والتطبيقات، دار النشر للجامعات القاهرة، مصر 1427هـ2006م، ص:07

9- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ترجمة أحمد الزعبي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص:622

10-المرجع نفسه، ص:623

11-علي قاسم الحاج أحمد: أصول الترجمة، ص:14

12-المرجع السابق، ص:17

13- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: الترجمة – المبادىءوالتطبيقات-ص:08

14-المرجع السابق، ص:08

15-المرجع السابق، ص:09

16-عبد العليم السيد منسي وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم مولى، الترجمة أصولها ومبادئها وتطبيقاتها، دار المريخ للنشر، ط8، الرياض، السعودية، ص:11

17-المرجع السابق، ص:12

18-المرجع السابق، ص:13

19-علي قاسم الحاج أحمد: أصول الترجمة، ص:17

20-المرجع السابق، ص:43

21-المرجع السابق، ص:22

22-المرجع السابق، نفس الصفحة

23-حسن غزالة، مقالات في الترجمة والأسلوبية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان 2004ص:86/85

24-علي قاسم الحاج: أصول الترجمة، ص:22

25-المرجع السابق، ص:29

26-محمد أمين مخيمر: الترجمة العامة، دار الكتاب الجامعي، ط1، العين الإمارات العربية المتحدة،1433 هـ/2012م، ص:15

27-المرجع السابق، ص:15

28-المرجع نفسه، ص:16

29-محمد أمين مخيمر: الترجمة العامة، ص:16

30- نفسه، ص:17

31-المرجع نفسه، ص:27

32- الديداوي: مفاهيم الترجمة، المنظور التعريبي لنقل المعرفة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب،2007، ص:62

33 -المرجع السابق، ص:29

34 -المرجع نفسه، ص:**30**